مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع JALHSS
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences – JALHSS
www.jalhss.com ISSN: 2414 – 3383
العدد (7) حزيران - يونيو 2016

التعرّف على أصول التصوّف عند الإمام النووي (رحمه الله تعالى)

المدرس الدكتور
أيسر فائق جهاد الحسني الآلوسي
كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة الأنبار
الانبار ـ العراق

الخلاصة
يتناول البحث الكلام عن أصول التصوّف التي ذكرها الإمام النووي في كتابه المقاصد حيث ذكر له أصولاً خمسة ترجع كلها إلى نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف , والإمام النووي إمام مشهور بين العلماء بزهده وورعه وعلمه ، حيث كان فقيهاً محدّثاً صوفيّاً ولا ينكر ذلك إلاّ جاهل به ، لأنه من أشهر علماء السنة وهذا يعطي التصوّف أصالة وتأييداً بأنه لا يحيد عن القرآن والسنة حتى تخرس ألسنة المتحاملين عليه والطاعنين في أصوله بأنها ليست من القرآن والسنة فهذا البحث يُبيّن هذه الأصول التي أرشد إليها القرآن ودعت إليها السنة ، وإن من عمل بها وتمسّك بها كان صوفيّاً محمّديّاً على منهج رسول الله ﷺ .

Identification of the Sufism Origins of Imam Al-Nawawi (May Allah Mercy him)

Dr. Ayser Faeek J. Al-Hassani Al-Alusi
Faculty of Islamic Sciences - University of Al-Anbar
Al- Anbar - Iraq

ABSTRACT

This research is talking about the Sufism which it mention by the (Imam Al-Nawawi) in his book (Al–Makased) where he mention it in five rules which it related to the texts of Al-Quran , Sunna of the prophet and the antecede . Al- Nawawi is faming between the scientists in his asceticism his godliness and his knowledge . He was legist , mystics says and his says wasn't untruth able only from the untaught in him , because he was one of the famous rubric scientist. This give the Sufism race and that support him , he was firm from Al-Quran and the rubric until stop talking the pregnable rubrics to him and the autocrats in his rules that it weren't from Al- Quran or it weren't from Al-Sunna that research leaded to it , and to call for Al –Sunna.

المقدمة

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على فاتح باب العلم وعين اليقين محمد الذي كان نبيّاً وآدم بين الروح والجسد فهو القائل حين سئل : ((**متى كنت نبيّاً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد**)) [1] ، وصلِّ وسلّم يا ربِّ على إخوانه من الأنبياء والمرسلين ومن إتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ..

فإن الإسلام منذ أن بدأت دعوته ظهر له خصوم ألدّاء حاولوا النيل منه وتهديم أركانه بشتّى الأساليب ومختلف الوسائل، ولا تزال هذه المحاولات إلى اليوم بما فيها من تيّارات إباحية وإلحاديّة تدخل إلى المجتمعات الإسلامية لنشر الفساد وتضليل الشباب وهدم المستقبل الفكري والعقائدي ونزع روح الإسلام ليبقى الإسلام كجسد بلا روح، وهذا يوجب على دعاة الأمة الإسلامية أن يحافظوا على هذه الروح، وهذا جزء من وفائهم وإخلاصهم للدين، فالمؤامرة كبيرة على الدين والأمة استخدم فيها الأعداء شتّى أساليب الحرب ابتداءً من الحرب العسكريّة إلى الأخلاقيّة والعقائديّة والفكريّة، وأقوى حرب شنّها أعداء الإسلام على المسلمين هي محاربتهم بفكرهم الإسلامي ومحاولة تشويه هذا الفكر بدس سمومهم فيه وإدخال من يدّعون الإسلام وتزيّوا بزيّهم ليُضلّوا الناس عن الحق، فهناك طعن مقصود وهجوم عنيف على التصوّف يثير الانتباه ويلفت النظر، لأنهم رأوا فيه روح الإسلام النابضة وحيويّته الفعّالة فأرادوا أن يُشوّهوا معالمه وأصوله، لأنهم حينما يطعنون بالتصوّف فقد طعنوا بمنهج رسول الله ﷺ وأخلاقه ، لأن التصوّف هو العمل بشريعة رسول الله ﷺ وأخلاقه ظاهراً وباطناً، قال بعض العارفين: (التصوّف كله أخلاق فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوّف) [2] .

لكن الله ﷻ قد هيّأ لهذا الدين رجالاً لا يخافون في الله لومة لائم ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله، رجالاً ورثوا عن رسول الله ﷺ علمه وحاله وقاله فأحيوا سنّته وآدابه المحمّديّة ونفع الله بهم الناس وسيبقى هذا العلم (التصوّف) منارة السالكين إلى الله ﷻ ومنهجاً لنشر الإسلام، لذا حاولت أن أُقدِّم التصوّف على حقيقته التي تكلّم بها ساداتنا من العلماء الكبار الذين ننهل من علمهم إلى اليوم ولا ينكر فضلهم وعلمهم إلاّ جاهل بهم وبدينه، مستندين بذلك إلى كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ فالذين أنصفوا التصوّف وبيّنوا منهجه وأنه على الكتاب والسنة هم من علمائنا الأجلاء والفضلاء وهم كثير، فمن بين هؤلاء العلماء الأجلاء اخترت عالم معروف بعلمه وورعه وزهده بين الناس وأثنى عليه علماء عصره ومن بعدهم وهو الإمام النووي (رحمه الله تعالى) فقد ذكر للتصوّف أصولاً خمسة في رسالته المقاصد مستمدة من الكتاب والسنة ، إذ ذكر فيها ما نصه: (أصول طريق التصوّف خمسة ، تقوى الله في السر والعلانية ، وإتّباع السنة في الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار ، والرضا عن الله في القليل والكثير ، والرجوع إلى الله في السرّاء والضرّاء) [3]، ثم أشار إلى ما يحقق هذه الأصول، إذ قال: (تحقيق التقوى بالورع والإستقامة ، وتحقيق إتباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق ، وتحقيق الإعراض عن الخلق بالصبر والتوكل ، وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض ، وتحقيق الرجوع إلى الله بالشكر له في السرّاء واللجوء إليه في الضراء).[4]

فالإمام النووي (رحمه الله تعالى) أشار إلى هذه الأصول، وما يحقق هذه الأصول إجمالاً والتي سأتناول شرحها وتوضيحها على قدر ما يمكنني الله سبحانه ويوفقني فيه إلى الصواب والحق، ولتجنب الإطالة جعلته في قسمين وكل قسم تحت عنوان في بحث مستقل فكان هذا القسم الأول في التعرف على هذه الأصول التي ذكرها الإمام النووي للتصوف وجاء تحت عنوان (**التعرّف على أصول التصوّف عند الإمام النووي رحمه الله تعالى**) ،

---

(1) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله العبسي (ت235هـ)، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط/1 1409: ما جاء في مبعث النبي ﷺ: 329/7(36553)، والمعجم الكبير: لسليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ) تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط/2 :353/20.

(2) النصرة النبويّة : للشيخ مصطفى إسماعيل المدني ، على هامش شرح الرائيّة للفاسي ، مطبعة العامرية ـ مصر ، 1316هـ: 22.

(3) مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوّف : للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) ، حققه وعلّق عليه : برهان الدين محمد بدر الدين الشاعر ، دار الإمام الغزالي ، دمشق ـ سورية ، ط/4 ، 1428هـ ، 2007م : 56.

(4) المصدر نفسه : 57 .

وسيكون القسم الثاني في بيان ما يحقق هذه الأصول والذي سيكون تحت عنوان: (**تحقيق أصول التصوف عند الإمام النووي رحمه الله تعالى**)، أما خطوات البحث فجاءت بعد هذه المقدمة مقسمة على مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول : في ترجمة حياة الإمام النووي وفيه خمسة مطالب .

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه .

المطلب الثاني ولادته ووفاته .

المطلب الثالث : طلبه للعلم .

المطلب الرابع : تصوفه وزهده وورعه .

والمبحث الثاني : كان في بيان الأصول التي ذكرها الإمام النووي للتصوّف وهي خمسة، وقسمتها على مطالب:

المطلب الأول : تقوى الله في السر والعلانية .

المطلب الثاني : إتّباع السنة في الأقوال والأفعال .

المطلب الثالث : الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .

المطلب الرابع : الرضا عن الله تعالى .

المطلب الخامس : الرجوع إلى الله تعالى .

ومن ثم الخاتمة وذكرت ما توصلت إليه من نتائج في البحث ، وقائمة بالمصادر التي اعتمدت عليها في كتابة البحث والتي تنوعت حسب حاجة البحث ، وهذا البحث هو أقل ما أقدمه لخدمة هذا الدين الحنيف وهذا العلم الشريف (التصوّف) بإظهار الحق ودمغ الباطل ، فأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة الإسلام والمسلمين ولما يحبه ويرضاه فمنه المبتدأ وإليه المنتهى وما توفيقي إلاّ بالله .

المبحث الأول
حياة الإمام النووي (رحمه الله تعالى)

المطلب الأول: اسمه ـ نسبه ـ لقبه

1- إسمه : يحيى بن شرف بن مرى [1] بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي النووي الحوراني الشافعي الدمشقي [2] .

2- نسبه : ((النووي)) نسبة إلى نوى بلدة بحوران بينها وبين دمشق مسافة يومين ، وهي البلدة التي ولد فيها [3] .

---

(1) مرى : بالكسر والقصر ، الجد الأعلى للنووي . ينظر: تاج العروس : للزبيدي ، مطبعة محمد شريف الخانجي – الإستانة : 341/1.

(2) ينظر: طبقات الفقهاء: لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (ت476هـ) ، تحقيق:خليل الميس – دار القلم ، بيروت: 268/1، وتذكرة الحفاظ : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط/1 : 1470/4، وفوات الوفيات : لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت764هـ) ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله ـ عادل أحمد عبد الوجود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/1 ، 2000م : 93/2، وطبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين بن علي السبكي (ت771هـ) ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة ، ط/2 ، 1413هـ : 395/8، وترجمة النووي : لمحمد عبد الرحمن السخاوي ، مطبعة جمعية النشر والتأليف بالأزهر ، ط/1 ، 1354هـ : 3.

(3) ينظر : معجم البلدان : لياقوت الحموي (ت626هـ) ، دار الفكر، بيروت: 306/5 . وترجمة النووي: 3 .

3- لقبه : يُلقّب (رحمه الله تعالى) بـ (محيي الدين) وهذا اللقب كان لا يرضى به لتواضعه ، والذي كان يُلقّبه به تلميذه ابن العطار [1] .

وقد ورد عن الإمام النووي (رحمه الله تعالى) أنه قال : (لا أجعل في حِل من لقّبني محيي الدين) [2] .

المطلب الثاني: ولادته ووفاته

1- ولادته : ولد الإمام النووي (رحمه الله تعالى) في العشر الأواسط من المحرم سنة (إحدى وثلاثين وستمائة) بنوى ، قرية من الشام من أعمال دمشق وكان أبوه من المستوطنين بها [3]، وهذا التاريخ لولادته هو الراجح وهو الذي ذكره تلميذه ابن العطار وغيره من المؤرخين [4] .

2- وفاته : سافر الشيخ فزار القدس وإبراهيم الخليل عليه السلام وعاد إلى نوى فمرض عند والده فحضرته المنية فانتقل إلى رحمة الله في ليلة الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، ودفن ببلده وقبره ظاهر يزار ، ولما وصل نبأ وفاته إلى دمشق ليلة الجمعة في جامع دمشق صلّى عليه صلاة الغائب وتأسّف لوفاته المادح والذام والخاص والعام [5] .

المطلب الثالث: طلبه للعلم

قدم به والده دمشق وله تسع عشرة سنة ، فسكن المدرسة الرواحية وبقي نحو سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض وكان قوته جراية المدرسة ، وحفظ التنبيه في نحو أربعة أشهر ونصف ، وبقي أكثر من شهرين أو أقل لما قرأ يجب الغسل من إيلاج الحشفة في الفرج وهو يعتقد أنه قرقرة البطن ويستحم بالماء البارد كلما قرقر بطنه ، وقرأ حفظاً ربع المهذب في باقي السنة وصحح وشرح على شيخه كمال الدين إسحاق بن أحمد المغربي ولازمه وأعجب به وأحبه وجعله يعيد لأكثر جماعته ، وفي سنة إحدى وخمسين حج مع والده وكانت وقفة الجمعة وكان رحيلهم من أول رجب فأقاموا بالمدينة نوى من شهر ونصف ، وقال والده : لما توجهنا من نوى أخذته الحُمَّى فلم تفارقه إلى يوم عرفة ولم يتأوّه قط . وكان يقرأ فيما بعد على المشايخ شرحاً وتصحيحاً كل يوم إثنى عشر درساً ، ودرسين في الوسيط ، ودرساً في المهذب ، ودرساً في الجمع بين الصحيحين ، ودرساً في صحيح مسلم ، ودرساً في اللمع لابن جني ، ودرساً في إصلاح المنطق ، ودرساً في التصريف ، ودرساً في أصول الفقه تارةً في اللمع لأبي إسحاق وتارةً في المنتخب للإمام فخر الدين ، ودرساً في أسماء الرجال ، ودرساً في أصول الدين وكان يعلق كل ما يتعلق بذلك من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة .

وخطر له الاشتغال في علم الطب ، فاشترى القانون وعزم على الاشتغال فيه قال : فأظلم على قلبي وبقيت أياماً لا اقدر على الاشتغال بشيء ففكرت في أمري ومن أين دخل عليَّ الداخل فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب ، فبعت القانون واستنار قلبي .

وقد سمع الحديث الكثير وأخذ علم الحديث عن جماعة من الحفاظ فقرأ كتاب الكمال ، لعبد الغني علي أبي البقاء خالد النابلسي ، وشرح مسلم ومعظم البخاري على أبي إسحاق المرادي ، وأخذ أصول الفقه عن القاضي أبي الفتح التفليسي ، وتفقه على الكمال إسحاق المغربي وشمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي وعز الدين عمر

---

(1) ابن العطار : علي بن إبراهيم بن داوود ابن العطار الدمشقي علاء الدين أبو الحسن تلميذ النووي ، كان أبوه عطاراً يلقب موفق الدين وجده طبيباً ، ولد سنة (654هـ) وتوفي سنة (724هـ) . ينظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد – الهند، ط/2 ، 1392هـ 1972م : 6/4.

(2) ترجمة النووي : 4 .

(3) ينظر : طبقات الفقهاء : 268/1، وطبقات الشافعية الكبرى : 396/8 . وطبقات الشافعية : لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاض شهبة (ت851هـ) ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط/1 ، 1407هـ :153/2. وفوات الوفيات : 593/2 .

(4) ينظر : ترجمة النووي : 4 ، وذيل مرآة الزمان : لقطب الدين اليونيني ، مطبعة مجلس المعارف ، حيدر آباد الدكن ـ الهند ، ط/1 ، 1960م : 289/3.

(5) ينظر : طبقات الفقهاء : 269/1 ، وتذكرة الحفاظ : 1473/4، وترجمة النووي : 74 ، والدارس في تاريخ المدارس : لعبد القادر بن محمد النعيمي (ت978هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 1410هـ : 20/1.

أسعد الأربلي وكمال الدين سلار الأربلي ، وقال ابن العطار : ذكر لي شيخاً أنه كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلاّ في وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه في الطريق يكرر أو يطالع ، وأنه بقي على هذا ست سنين ثم اشتغل بالتصنيف والانشغال والنصح للمسلمين وولاتهم [1] .

المطلب الرابع: تصوفه وزهده وورعه

إن المتأمل لحياة الإمام النووي (رحمه الله تعالى) يجدها حياة روحية صوفية مليئة بالقناعة والزهد والورع وترك الانشغال بالدنيا والإقبال على الآخرة وترك حظوظ النفس ، لأنه عرف حقيقة الدنيا فأعرض عنها وعرف الآخرة فأقبل عليها فأذاقه الله حلاوة هذه المعرفة فمكّن الله له في الأرض بالعلم والمحبة في قلوب الناس ، فكان الإمام النووي (رحمه الله تعالى) مجاهداً لنفسه ويعمل بدقائق الفقه والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب ، كثير المحاسبة لنفسه على الخطوة بعد الخطوة [2] . وكان لا يأكل من فواكه دمشق لما فيه ضمانها من الحيلة والشبهة ، ويصوم الدهر ، ولا يجمع بين إدامين ، وكان يتقوت بما يأتي من بلده من أبويه [3] .

أما في لبسه ، فكان لا يلبس الملابس الفاخرة لتواضعه ، ووصف الذهبي ملبسه بقوله : (مثل آحاد الفقراء من أهل حوران لا يأبه له) [4] . وفي صباه كان يكره اللعب واللهو ، قال شيخه في الطريقة الشيخ ياسين بن يوسف الزركشي : (رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال ، فوقع في قلبي حبه وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن ، قال : فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت له هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم ويشفع الناس به فقال لي : منجم أنت ؟ فقلت : لا ، وإنما أنطقني الله بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام) [5] .

انقطع (رحمه الله تعالى) عن الناس فلا يعرف ما هم عليه واعتزل دنياه فلا يدري ماذا فيها ، وكان المرجع في كل مُلِمّة تلم بالبلد ومفزع الناس في الخطوب إليه واعتمادهم بعد الله في الملمات عليه ، وكان سفيرهم إلى الملوك ووسيلتهم إلى السلاطين [6] . ولِيَ مشيَخَة دار الحديث الأشرفيَّة ، وحج في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم [7] .

المبحث الثاني
أصول التصوّف عند الإمام النووي (رحمه الله تعالى)

المطلب الأول: تقوى الله في السر والعلانية

إن للتقوى معنى عام وشامل من حيث التزام آداب الشريعة والمحافظة عليها بدقة وأمانة إلى رعاية قوانين الشرع الفطريّة، إلى وقاية الإنسان في سرّه وخفيّه من الشرك ومن كل سلوك يؤدّي به إلى جهنم ، فهي شعار المؤمنين وبها أوصى الله تعالى خلقه أجمعين ، وكانت الهدف الذي بعث من أجله جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فهي وصيّة الله لنا ولمن قبلنا كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾

---

(1) ينظر : طبقات الفقهاء : 268/1 . وتذكرة الحفاظ : 1470/4، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : للذهبي ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ـ لبنان ، بيروت ، ط/1 ، 1407هـ ، 1987م : 248/50، والبداية والنهاية : لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ) ، مكتبة المعارف، بيروت : 287/13.

(2) ينظر : تاريخ الإسلام: تحقيق د. بشار عواد معروف والشيخ شعيب الأرنؤوط ود. صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، ط/1 ، 1988م : 68 وفيات (676هـ)، وطبقات الشافعية: 155/2 .

(3) ينظر : طبقات الفقهاء : 268/1 . وترجمة النووي : 61 .

(4) تاريخ الإسلام : 68 ، وفيات (676هـ) .

(5) طبقات الشافعية الكبرى : للسبكي : 396/8 - 397 .

(6) ينظر : الإمام النووي : لعلي الطنطاوي ، دار الفكر ، ط/1 ، 1960م: 34 .

(7) ينظر : البداية والنهاية : لابن كثير : 279/13 .

(النساء: من الآية131) ، بهذا المعنى الواسع للتقوى تصبح هي المصدر الوحيد لقيمة الإنسان وكرامته فلا كرامة له عند الله بدونها كما قال ﷻ : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات: من الآية13) .

فهي أفضل عمل عند الله تعالى والمتقون هم أكرم عباده وأنزههم ، فبها ينجوا الإنسان من السقوط إلى أسفل السافلين ويغدوا سائراً إلى أعلى عليين ، وهي مفتاح أبواب أسرار الخير وطريق الجنة يُستضاء بنورها . فالتقوى مقابل هذا الاستعمال العام ، لها معنى خاص معلوم لدى الجميع حيث يتوارد إلى الذهن ذلك المعنى كلما قيل (تقوى) . فهي في اللغة : كما قال ابن فارس : (وقى : الواو والقاف والياء كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره ، والوقاية : ما يقي الشيء ، واتق الله : توقه) [1] .

(واتقى تقية وتقاء والتقي والمتقي ، وقالوا ما اتقاه لله وتوقى واتقى بمعنى ووقاه الله وقاية بالكسر حفظه) [2] ، (ووقاه توقية ، حفظه وصانه ، واتقى بالشيء جعله وقاية له من شيء آخر) [3] .

وعليه فالتقوى مادتها (وقى) ، أي تعني في أصلها اللغوي الحفظ والصون ، والتقوى اسم وفعلها اتقى وهو : (افتعل من وقى بمعنى حفظ وحرس ، وافتعل هنا للاتخاذ أي : اتخذ وقاية) [4] .

أما معناها في الشرع : فقد ورد تعريف التقوى بتعريفات عدة :

قال البيضاوي في تعريفها : (الوقاية فرط الصيانة ، وهو في عرف الشرع : اسم لمن يقي نفسه مما يضره في الآخرة) [5] .

وقال ابن تيمية (رحمه الله تعالى) : (التقوى ، أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عذاب الله) [6] .

وعرفها الجرجاني بقوله : (هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته ، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك ، والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص ، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر) [7] .

(إذن التقوى في الشرع : هي عبارة عن اجتناب ما نهى الله عنه ويدخل فيه أداء ما فرضه الله على المسلم من الطاعات والواجبات باعتبار أن ما نهى الله عنه ، يعني إتيان ما أمرنا به فإذا أمرنا باتقاء الأرحام ، فمعنى ذلك أنه أمرنا بعدم قطع الأرحام من جهة وأمرنا بصلة الأرحام من جهة أخرى ، وعليه فالتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات) [8].

منازل التقوى :

بيّن الغزالي (رحمه الله تعالى) أن للتقوى منازل ذكرها الله ﷻ في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (المائدة:93) .

فالمنزل **الأول** من منازل التقوى : هو التقوى عن الشرك المخلد في العذاب ، والإيمان في مقابلته وهو التوحيد . **والثاني** : التقوى عن البدعة ، والإيمان الذي ذكر معها إقرار بالسنة والجماعة . **والثالث** : التقوى عن المعاصي الفرعية ولا إقرار في هذه المنزلة فقابلها بالإحسان ، وهو الطاعة والاستقامة عليها ، فتكون منزلة مستقيمي الطاعة ، إذن هي ثلاث منازل : منزلة الإيمان ، ومنزلة السنة ، ومنزلة الاستقامة في الطاعة [9] .

---

(1) معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر، بيروت ، ط/1 ، 1979م: 131/6مادة(وقى) .

(2) مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، طبعة جديدة ، 1415هـ 1995م: 305/1 .

(3) المعجم الوسيط : لإبراهيم مصطفى أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار دار الدعوة: 1052/2 .

(4) تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ـ بيروت ، ط/2 ، 1403هـ 1983م: 38/1 .

(5) تفسير البيضاوي : لعبد الله بن عمر البيضاوي، مؤسسة شعبان ـ بيروت: 48/1 .

(6) مجموع الفتاوى :لأحمد بن تيمية الحراني، مطابع الرياض ، 1382هـ: 433/10 .

(7) التعريفات :90/1.

(8) حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأفعال سلف الأمة : د. محمود أحمد سعيد الأطرش ، دار الإيمان ـ الإسكندرية ، 2002م: 14 .

(9) ينظر : منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين : لأبي حامد الغزالي ، اعتنى به : محمد علي محمد بحري ، مكتبة ابن القيم ـ دمشق ، حلبوني ، ط/1 ، 1422هـ 2002م: 66 .

وقال الإمام القشيري (رحمه الله تعالى) في رسالته : (وأصل التقوى : اتقاء الشرك ، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ، ثم بعده اتقاء الشبهات ، ثم يدع بعده الفضلات) [1] .

وعلى هذا يمكننا أن نقول لا تنال التقوى التامة إلاّ باجتناب المشتبهات وصغائر الذنوب وهذا يتطلّب معرفة دقيقة بالحلال والحرام مستنداً إلى معرفة ربّانيّة قوية ليتحقق بذلك خشية الله التي ذكرها ﷻ بقوله : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ (فاطر: من الآية28) .

أسباب حصول التقوى :

إن من أسباب حصول التقوى أمور عدة منها :

1- اجتناب صغائر الذنوب (اللمم) المذكورة في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ** ﴾ (لنجم: من الآية32) ، قال الحبيب ﷺ : ((**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس**)) [2] . فلا تقوى كاملة إلاّ باجتناب الشبهات كليّاً ، ومن يتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، قال عليه الصلاة والسلام : ((**الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبّهات إستبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه**)) [3] . فصاحب الشريعة قد بيّن ووضّح الحلال والحرام بما لا يدع مجالاً لأيّة شبهة لكن بين هذين الأمرين ما يشبه الاثنين من الأمور المشتبهة لا يعلمها كثير من الناس ، ولأجل هذا لا بد من اجتناب مثل هذه الشبهات حتى يتحرّز من الوقوع في الحرام كالغنم ترتع حول الحمى، قال الإمام النووي (رحمه الله تعالى): (أن العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها وتخرج بالتوعد بالعقوبة لمن قربها فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته عن ذلك الحمى، لأنه إن قرب منه فالغالب الوقوع فيه، لأنه قد تنفرد الفاذة وتشذ الشاذة ولا ينضبط فالحذر أن يجعل بينه وبين ذلك الحمى مسافة يأمن فيها وقوع ذلك وهكذا محارم الله ﷻ من القتل والربا والسرقة وشرب لخمر والقذف والغيبة والنميمة ونحو ذلك لا ينبغي أن يحوم حولها مخافة الوقوع فيها)[4] قال عليه الصلاة والسلام في تتمة هذا الحديث : ((**ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**)) [5] .

2- تعظيم كل ما شرّعه الله تعالى للمسلمين من شعائر دينية ، لقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ (الحج:32) ، وهذا يسمّى تقوى التعظيم، قال النسفي (رحمه الله تعالى): (فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب)[6] .

3- الأدب مع رسول الله ﷺ ، وغض الصوت عند أوامر الله وأوامر رسوله سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ، وعدم رفع الصوت حتى عند قبره تأدباً معه ﷺ ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الحجرات:3) ، وهذا تقوى الأدب .

4- إتباع الهدى الذي جاء به الكتاب والسنة والابتعاد عن سبل الشيطان ، قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام:153)

5- إتباع ما أمر به رسول الله ﷺ ، واجتناب ما نهى عنه ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (الحشر: من الآية7) ، وهذا من تقوى الأوامر والنواهي .

---

(1) الرسالة القشيرية : لأبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، تحقيق : عبد الكريم العطا ، مكتبة دار طيبة ـ دمشق ، ، 2000م: 188 .

(2) سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 634/4(2451). وسنن البيهقي الكبرى :لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، 1414هـ 1994م: باب: كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أو ثمن المحرم: 335/5(10602).

(3) صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت ، ط/3 ، 1407هـ 1987م كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه : 28/1(52) ، وصحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج : ، كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات : 1219/3(1599).

(4) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت 702هـ)، مؤسسة الريان، ط/6، 1424 هـ 2003م: 47-48.

(5) مر تخريجه نفس الصفحة هامش2 .

(6) تفسير النسفي: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس ، بيروت، 2005م: 87/3.

6- صحبة الصادقين الصالحين من ورثة رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة:119) .

ثمار التقوى وآثارها :

نستطيع أن نستنبط ثمرات التقوى وآثارها على الفرد من خلال القرآن الكريم وهي كثيرة نذكر منها :

1- الفوز بمحبة الله وملائكته والناس ، قال تعالى : ﴿ **بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (آل عمران:76) ، (ومحبة الله خاصة بصنف من عباده ، وهم المؤمنون الطائعون كما قال تعالى : ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ (المائدة: من الآية54) ، والمراد من محبة الله لعبده زيادة إنعامه عليه بجعله من أهل القربى عنده ، ويتضمن معنى الود من الإنعام ما لا يتضمّنه معنى الرحمة والرأفة) [1].

2- الهداية ، قال تعالى : ﴿ **هُدىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة: من الآية2) .

3- التأييد والنصرة بولايته ومعيّته للمتقين [2] ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (الجاثية: من الآية19) ، والولاية هنا تدل على القرب ، قال الآلوسي (رحمه الله تعالى) : (الأولياء جمع وليَّ من الولي بمعنى القرب والدنو ، يقال : وَلِيَ أي قرب)[3] ، ومعية الله نوع من ولايته فالمعية تعني التأييد والنصر قال ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ (النحل:128) ، والمعية لم تذكر إلاّ مع أصناف من المسلمين بلغوا درجة إيمانيّة عالية لذا ذكرت المعية مع المتقين والمحسنين ، وذكرت مع الصابرين قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (البقرة:153) ، أما الولاية فهي عامة لكل المؤمنين : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (البقرة: من الآية257) .

4- الخروج من المأزق والنجاة من الشدائد والرزق الحلال ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ (الطلاق: من الآية2-3) .

5- غفران الذنوب وتكفير السيئات ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (الحديد:28) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ (الطلاق: من الآية5) .

6- نيل القبول من الله تعالى ، قال ﷻ :﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (المائدة: من الآية27) .

7- الخلود في الجنة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ (الحجر:45) ، وقال ﷻ : ﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً** ﴾ (مريم:63) ، وقال ﷻ : ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً** ﴾ (الفرقان:15) ، أي وعدها المتقون والآية تدل على أن الوعد الصادق بالجنة يحصل بسبب التقوى [4] .

8- النجاة من النار ، قال ﷻ : ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً** ﴾ (مريم:72) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى** ﴾ (الليل:17) .

9- تحصيل العلم النافع ، قال ﷻ : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: من الآية282) ، فزيادة العلم بزيادة التقوى ونقصانه باقتراف المعاصي وقلة التقوى .

10- تيسير الأمور وتسهيلها لمن اتقى ، قال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً** ﴾ (الطلاق: من الآية4) ، وقال ﷻ : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ (الليل:5-6-7) .

المطلب الثاني

إتباع السنة في الأقوال والأفعال

قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (آل عمران:31) ، إن الطريق الموصل إلى الله تعالى هو إتباع سنة رسول الله ﷺ ففيها الهداية وإبصار الحق وعدم

---

(1) العقيدة الإسلامية وأسسها : لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم، دمشق ، ط/3 ، 1403هـ 1983م: 220 .
(2) ينظر : منهاج العابدين : للغزالي : 62 .
(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لمحمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط/4 ، 1985م: 146/11 .
(4) ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ـ بيروت ، 1415هـ 1995م: 31/6 .

الضلال كما قال عليه الصلاة والسلام : ((**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**)) [1] .

(قال أبو عبد الرحمن السلمي بلغني أن بعض أصحاب أبي علي الجوزجاني سأله كيف الطريق إلى الله ؟ قال : أصح الطرق وأعمرها وأبعدها من الشبه ، إتباع الكتاب والسنة قولاً وفعلاً وعقداً ونية ، لأن الله تعالى يقول :﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ (النور: من الآية54) ، فسأله : كيف طريق إتباع السنة ؟ قال : بمجانبة البدع وإتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله ، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة الإقتداء والإتباع ، بذلك أمر النبي ﷺ بقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (النحل:123))[2] .

والإتباع في اللغة : مصدر اتبع ، وتدل هذه المادة على التلو والقفو ، يقال : تبعت القوم تبعاً وتَباعَةً بالفتح ، إذا مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم ، وتبعت الشيء سِرت في أثره [3] .

أما في الاصطلاح : (قال الإمام أحمد (رحمه الله تعالى) : هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد في التابعين مُخيَّر . وقال ابن عبد البر (رحمه الله تعالى) : الإتباع ما ثبت عليه الحجة ، وهو إتباع كل من أوجب عليك الدليل إتباع قوله ، فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في إتباع ما أُمر به) [4] .

ففي إتباع السنة سعادة الدنيا والآخرة ، فرسول الله ﷺ هو خير أسوة يتأسّى به المؤمن في حياته رجاء ثواب الله ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الأحزاب:21) ، ونقل أبو عبدالله الحاكم عن الإمام الغزالي قوله : (اعلم أن مفتاح السعادة في إتباع السنة ، والاقتداء برسول الله ﷺ في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة أكله وقيامه ونومه وكلامه لست أقول ذلك في آدابه فقط ، لأنه لا وجه لإهمال السنن الواردة فيها بل ذلك في جميع أمور العبادات ، فبه يحصل الإتباع المطلق كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (آل عمران:31) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ** ﴾ (الحشر: من الآية7) [5] .

ومحبة الله لعبده متعلقة بتحقيق العبد بالإتباع لرسوله ﷺ ، فالمحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها ، فهي إنما تتحقق بإتباع أمره واجتناب نهيه فعند إتباع الأمر واجتناب النهي تتبيّن حقيقة العبوديّة والمحبة ، لهذا جعل تعالى إتباع رسوله علماً عليها وشاهداً لمن إدّعاها فقال : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ (آل عمران: من الآية31) ، فجعل إتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله وشرطاً لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون شرطه وتحققه بتحققه ، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله ، ودل على أن متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة أمره [6] .

وقد فسّر بعضهم المحبة بالإتباع والطاعة من جانب العباد ، ومحبة الله لعباده بإنعامه عليهم بالغفران ، فقال : محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما وإتباعه أمرهما ، ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران [7] .

---

(1) المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/1 ، 1411هـ 1990م: كتاب: العلم: 172/1(319) . وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : لعلاء الدين علي المتقي حسام الدين الهندي ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/1 ، 1419هـ 1998م: باب: في الإعتصام بالكتاب والسنة: 100/1(876) .

(2) الإستقامة : لأحمد بن تيمية الحراني، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ـ المدينة المنورة ، ط/1 ، 1403هـ: 110/1 .

(3) ينظر : معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس : 362/1 ، تحقيق : عبد السلام هارون ـ القاهرة ، 1969م . ولسان العرب : ابن منظور : 416/1 . والصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، 1982م: 1190/3 .

(4) أضواء البيان : لمحمد الأمين الشنقيطي ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ط/2 ، 1408هـ: 548/7 .

(5) المدخل إلى كتاب الإكليل : لمحمد بن عبد الله بن حمدوية أبو عبد الله الحاكم ، تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ـ الإسكندرية: 143/1 .

(6) ينظر : مدارج السالكين: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ) ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار ـ القاهرة ، ط/1 ، 1422هـ 2001م: 97/1 .

(7) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي ، دار الشعب ـ القاهرة: 60/4.

قال الحسن البصري (رحمه الله تعالى) : (وكان علامة حبّه إيّاهم إتباع سنة رسول الله ﷺ ، وفي موضع آخر : فقد جعلت علامة حبهم الله إتباع رسوله) [1] .

وسنة رسول الله ﷺ هي دليل القرآن وهي لا تدرك بالقياس ولا تؤخذ بالعقول ، وإنما هي الإتباع للأئمة ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة [2] ، وقد ذكر الله ﷻ أقواماً أحسن الثناء عليهم فقال : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر:من الآية 17 - 18) ، وأمر عباده فقال : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام:153) .

ومن علامات إتباع السنة: الاقتصاد في العمل مع الاعتصام بالسنة، فهي من أصول العبادة السليمة حيث كان السلف يذكرون هذين الأصلين كثيراً ، فإن الشيطان يشمُّ قلب العبد ويختبره فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضاً عن كمال الانقياد للسنة أخرجه عن الاعتصام بها ، وإن رأى فيه حرصاً على السنة وشدة طلب لها لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها فأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلاً له : إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتر مع أهل الفتور ولا تنم مع أهل النوم ، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها فيخرج عن حدها كما أن الأول خارج عن هذا الحد فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر وكلا الأمرين خارج عن السنة إلى البدعة ، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف . قال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلاّ وللشيطان فيه نزعتان ، إما إلى تفريط ، وإما إلى مجاوزة وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر : زيادة أو نقصان .

فكل الخير في اجتهاد باقتصاد وإخلاص مقرون بالإتباع ، كما قال بعض الصحابة : اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم [3] .

قال أبو بكر الترمذي : (ولم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلاّ أهل المحبة ، إنما أخذوا ذلك بإتباع السنة ومجانبة البدعة فإن محمداً ﷺ كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى) [4] .

والسادة الصوفيّة أشد إتباعاً لسنة رسول الله ﷺ ليس كما يعتقد فيهم الجهال أنهم متساهلون في الإتباع وأن اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه ، مما يقولون به ويعملون عليه وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به ، فهم ذمّوا البدع وأهلها وبنوا طريقتهم على إتباع السنة واجتناب ما خالفها حتى وصفهم حافظ مأخذهم وعمود نحلتهم أبو القاسم القشيري أنهم إنما اختصوا باسم التصوّف ، انفراداً به عن أهل البدع حيث قال : ثم ظهرت البدع ، وادعى كل فريق أن فيهم زُهَّاداً وعُبّاداً ، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله ، الحافظون قلوبهم عن الغفلة : باسم التصوّف . فقد عدَّ هذا اللقب مخصوصاً بإتباع السنة ومباينة البدعة ، وقال الفُضَيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة . وقال ذو النون المصري : إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء .. إلى أن قال : والخامس : اتّبعوا أهواءهم ، ونبذوا سنّة نبيّهم ﷺ . وقال أبو القاسم الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلاّ على من اقتفى أثر الرسول ﷺ ، وقال أبو القاسم النصر آبادي : أصل التصوّف ملازمة الكتاب والسنة ، وترك البدع والأهواء [5] .

---

(1) أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة : للالكائي ، تحقيق : أحمد سعيد حمدان ، الرياض ، 1402هـ: 70/1 .

(2) رياض الجنة بتخريج أصول السنة : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي ، تحقيق : عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ـ السعودية ، ط/1 ، 1415هـ: 35/1 .

(3) ينظر : مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية : 516/1 .

(4) الاعتصام : لأبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق : محمد حسنين مخلوف ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/10 ، 1988م: 92/1.

(5) ينظر : رسالة المسترشدين : للحارث المحاسبي ، حققه وخرّج أحاديثه : عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط/ 11 ، 1426هـ 2005م: 30-34 .

المطلب الثالث: الإعراض عن الخلق

إن حب الدنيا والتعلق بها رأس كل خطيئة قال ﷺ : ((**حب الدنيا رأس كل خطيئة**)) [1] كما أنها سبب البعد عن الله والغفلة عنه ، فمن كان قلبه مليء بحب الدنيا ألزم الله قلبه خصالاً، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من أشرب حب الدنيا التاط منها بثلاث ، شقاء لا ينفذ عناؤه ، وحرص لا يبلغ غناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه**)) [2] ، أما الذي لم ينشغل بالدنيا وتعلق قلبه بالله وأعرض عن كل ما سواه جعل الله له الدنيا خادمة بأمر خالقها سبحانه ، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**يقول الله ﷻ للدنيا : يا دنيا أخدمي من خدمني ، واتعبي يا دنيا من خدمك**)) [3] ، وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من كانت الدنيا نيّته طلب الآخرة جعل الله الغنى في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت نيّته طلب الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلاّ ما كتب له**)) [4] .

إذن الدنيا هي سبب الإعراض عن الله والانشغال بغيره وهذا سم قاتل للقلب ، لأنه إذا ملئ القلب بحب الدنيا خرج منه حب الله ورسوله ، لأنه لا يجتمع جميل وحقير في قلب مؤمن، أما إذا ملئ بحب الله ورسوله فسيخرج الهوى وحب الدنيا منه كالقدح إذا ملئ بالماء خرج منه الهواء . والإعراض عن الدنيا وأهلها وشهواتها المبعدة عن الله هو صفة أهل التصوّف وأصل من أصوله التي ذكرها الإمام النووي (رحمه الله تعالى) فلا يسمّى الصوفي صوفيّاً إذا كان في قلبه حب الدنيا والإعراض عن الله ، فالصوفي معرضاً عن كل ما سوى الله ينظر إلى الدنيا بعين الزوال أقبلت أم أدبرت ، شعاره : ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** ﴾ (طـه: من الآية84) ، فمن كان في قلبه حب الدنيا صعب عليه الإعراض عنها ، أما الذي يزهد فيها ويخرجها من قلبه سهل عليه الإعراض عنها وعن الخلق وعن كل ما سوى الله تعالى ، لأن الدنيا والخلق من القواطع عن الله والقواطع أربعة (النفس والشيطان والخلق والدنيا) أما عداوة النفس والشيطان فظاهرة ، وأما الخلق فملاحظة مدحهم وذمهم تعرقل السير إلى الله ، وأما الدنيا فالاهتمام بها وانشغال القلب بتقلباتها قاطع كبير عن الله ففي حالة الفقر تكثر الهموم فتشغل عن الله وفي حال الغنى ينشغل القلب بزينتها وزخرفها عن الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** ﴾ (العلق:6-7) [5] .

فالإعراض عن الخلق يسهل على النفس إذا تحقق فيها الزهد فهو العلاج لها من ملاحظة الخلق الذي يعيق تقدم سيرها إلى الله تعالى فهو مقام من مقامات الدين الذي وصل به كثير من الصالحين إلى مرضات الله تعالى وأكرموا من الله بكرامات لم تكن لغيرهم بسبب معرفتهم حقيقة الدنيا وزهدهم بها وانصراف رغبتهم عنها إلى مرضات الله تعالى .

فالزهد : هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه ، فحال الزاهد يستدعي مرغوباً عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب عنه ، وشرط المرغوب عنه : أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه بوجه من الوجوه ، فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمّى زاهداً إذ تارك الحجر والتراب لا يسمّى زاهداً ، وإنما يسمّى زاهداً من ترك الدراهم والدنانير . فمن باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، ومن باع الآخرة بالدنيا أيضاً فهو زاهد أيضاً

---

(1) مشكاة المصابيح : لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط/3 ، 1985م: 1437/3 .

(2) مسند الشهاب : لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط/2 ، 1407هـ 1986م: 320/1 (541) ، من أشرب قلبه حب الدنيا ناط الله قلبه منها . ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، القاهرة ، 1407هـ: 249/10 ، باب : فيمن أحب الدنيا.

(3) مسند الشهاب : للقضاعي : 325/2 (1454) ، يا دنيا أخدمي من خدمني واتعبي من خدمك . والإتحافات السنيّة بالأحاديث القدسيّة : زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي زين العابدين : ، تحقيق : محمد عفيف ، مؤسسة الرسالة - لبنان ، بيروت: 84/1 (194) .

(4) الزهد : لأبن أبي عاصم ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، دار الريان للتراث - القاهرة ، ط/2 ، 1408م: 80/1 (164) ، ما ذكر أن النبي ﷺ قال : من كانت همته ونيته الآخرة أتته الدنيا وهي راغمة .

(5) ينظر : حقائق عن التصوف : للشيخ عبد القادر عيسى ، دار العرفان - سورية ، حلب ، ط/19 ، 1431هـ 2010م: هامش ص101 .

ولكن في الآخرة ، فمن عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى قويت رغبته في البيع بقدر يقينه بالتفاوت بين الدنيا والآخرة ، فالزاهد الذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى فلا يحب إلاّ الله تعالى [1].

وقد مدح الله ﷻ في القرآن الزهد في الدنيا ، وذم الرغبة فيها ، فقال تعالى : ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ (الأعلى:17 - 18) ، وقال ﷻ : ﴿ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (لأنفال: من الآية67) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ** ﴾ (الرعد: من الآية26) ، وقال ﷻ : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور** ﴾ (الحديد:20) .

كذلك السنة المطهرة وردت فيها أحاديث كثيرة بيّنت خسّة الدنيا ورغّبت في الزهد فيها ((فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كَنَفَتَهُ فمرَّ بجدي أسكَّ [2] ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : **أيّكم يحب أنَّ هذا له بدرهم ؟** فقالوا : ما نحبُّ أنه لنا بشيء وما نصنع به ، قال : **أتحبّون أنه لكم ؟** قالوا : لو كان حيّاً كان عيباً فيه ، لأنه أسكَّ فكيف وهو ميّت ، فقال : **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**)) [3] .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى**)) [4] .

ولسلفنا الصالح أقوال كثيرة في الزهد وكل نطق بلسان حاله وأشار إلى ذوقه ، قال ابن الجلاء (رحمه الله تعالى) : (الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال ، فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها . وقال الإمام أحمد (رحمه الله تعالى) : الزهد في الدنيا قصر الأمل)[5]

وقال بشر الحافي (رحمه الله تعالى) : (الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس) [6]

وقال الفضيل (رحمه الله تعالى) : (لو أن الدنيا بحذافيرها عُرضت عليَّ حلالاً لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذّرها كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه) [7] .

وسئل الشبلي (رحمه الله تعالى) عن الزهد فقال : (أن تزهد فيما سوى الله تعالى) [8] .

أقسام الزهد ودرجاته وعلاماته

الزهد على ثلاثة أقسام : قال إبراهيم بن أدهم (رحمه الله تعالى) : (الزهد ثلاثة أقسام : فزهد فرض ، وزهد فضل ، وزهد سلامة ، فأما الزهد الفرض : فالزهد في الحرام ، والزهد الفضل : فالزهد في الحلال ، والزهد السلامة : فالزهد في الشبهات) [9] .

---

(1) ينظر : تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف : رتبه وعلق عليه الشيخ أحمد محمد كنعان ، دار القلم:57 . والمهذب من إحياء علوم الدين : لصالح أحمد الشامي ، دار القلم ـ دمشق ، ط/2 ، 1419هـ 1998م: 337/2.

(2) أسك : قوله جدي أسك : قيل هو الصغير الأذنين الملتصقتهما ، وهو أيضاً الذي لا أذنان له ، والذي قطعت إذناه سككته اصطلمت أذنيه . ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار : للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي ، المكتبة العتيقة ـ ودار التراث: 216/2 .

(3) صحيح مسلم : كتاب : الزهد والرقائق : 2272/4 (2957).

(4) صحيح ابن حبان : لمحمد بن حبان البستي، ذكر الإخبار بأن الإمعان في الدنيا يضر في العقبى كما أن الإمعان في طلب الآخرة يضر في فضول الدنيا ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط/2 ، 1414هـ 1993م: 486/2 (709)، والمستدرك على الصحيحين: كتاب : الرقاق: 343/4 (7853) .

(5) مدارج السالكين: 12/2 .

(6) المهذب من إحياء علوم الدين : 341 .

(7) مكاشفة القلوب في معاملة حضرة علام الغيوب : للإمام أبي حامد الغزالي ، حقق أصوله وخرّج آياته وأحاديثه الشيخ يوسف الحاج أحمد ، المطبعة العالمية ـ ط/1 ، 1422هـ 2001م: 135 .

(8) الرسالة القشيرية : 204 .

(9) تزكية النفوس : 60 .

أما درجاته فهي أيضاً ثلاثة :

1- الذي يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ، ولكن يجاهدها ويكفها وهذا يسمى متزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد .

2- الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه ، ولكنه يرى زهده ويلتفت إليه كالذي يترك درهماً لأجل درهمين ولكن هذا الزاهد يرى زهده ويكون معجباً بنفسه وبزهده وهذا نقصان .

3- وهي أعلى درجات الزهد ، أن يزهد في الدنيا طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى أنه ترك شيئاً فيكون كمن ترك خَزَفَةً وأخذ جوهرة ، فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة [1] .

والناس يتفاوتون في الزهد فينقسمون في ذلك إلى (عوام وخواص وعارفين) ، فزهد العوام يكون في ترك الحرام ، أما زهد الخواص فهو ترك الفضول من الحلال ، وزهد العارفين هو ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى [2] .

وللزهد علامات تظهر على الزاهد تدل على صدق زهده في الدنيا وإعراضه عنها وهي :

1- أن لا يفرح بموجود ، ولا يأسف ويحزن على مفقود ، كما قال تعالى : ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (الحديد:23) [3]

2- أن يستوي عنده ذامّه ومادحه ، فالأول علامة الزهد في المال ، والثاني علامة الزهد في الجاه ، فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من محبة الحق وما فيه رضا مولاه [4] .

3- أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة ، قيل لبعضهم : إلام أفضى بهم الزهد ، قيل : إلى الأنس بالله [5] .

المطلب الرابع : الرضا عن الله تعالى

الرضا مقام قلبي إذا تحقق به المؤمن استطاع أن يتلقى نوائب الدهر وأنواع الدهر وأنواع الكوارث بإيمان راسخ ونفس مطمئنة وقلب ساكن ، بل قد يترقى إلى أرفع من ذلك فيشعر بالسرور والفرحة بمر القضاء ، وذلك نتيجة ما تحقق به من المعرفة بالله تعالى والحب الصادق له سبحانه [6] .

فالرضا لغةً : (ضد السخط) [7] .

وفي الإصطلاح : يقول الإمام الكيلاني (رحمه الله تعالى) : (الرضا ، ترك المنازعة للقدر وسرور القلب بمر القضاء وترك الاختيار مع المولى ﷻ فأهل مقام الرضا هم الذين قطعوا عن قلوبهم الاختيار فلا يختارون شيئاً تريده أنفسهم ولا شيئاً مما يريدون به الله ، فلا يسألونه تعالى ولا يتطلعون للحكم قبل نزوله فإذا وقع حكم من الله من حيث لا يتشوقون إليه رضوا به وأحبوه وسروا به) [8] .

وقال الجرجاني (رحمه الله تعالى) : (الرضا سرور القلب بمر القضاء) [9] .

---

(1) ينظر : المصدر نفسه : 61 . والمهذب من إحياء علوم الدين : 339/2 .
(2) ينظر : الرسالة القشيرية: 205 .
(3) ينظر : مدارج السالكين : 438/1 . والمهذب : 341/2 .
(4) ينظر : المهذب : 341/2 . وتزكية النفوس : 60 .
(5) ينظر : المهذّب : 341/2 .
(6) ينظر : حقائق عن التصوّف : 293 .
(7) المحكم والمحيط الأعظم : لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 2000م: 243/8 . ولسان العرب : لإبن منظور ، قدّم له : عبد الله العلايلي ، مطبعة تكنوبرس ـ بيروت ، 1389هـ 1970م: 323/14 .
(8) الغنية لطالبي طريق الحق : للكيلاني، تحقيق : د. فرج توفيق الوليد ، مطبعة منير ، 1988م: 1362/3 .
(9) التعريفات : 57 .

وقال ابن عجيبة (رحمه الله تعالى) : (الرضا ، تلقي المهالك بوجه ضاحك ، أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء ، أو ترك الاختيار على الله تعالى فيما دبر وأمضى ، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار) [1] .

(إن الرضا بقضاء الله تعالى ثمرة من ثمار المحبة ، وهو من أعلى مقامات المقربين) [2] وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص وهي من معاملات القلوب ، لأنه مقدمة للخروج عن النفس ، والذي هو طريق أهل الخصوص فمقدمته بداية سلوكهم ، لأنه يتضمن خروج العبد عن حظوظه ووقوفه مع مراد الله ﷻ لا مع مراد نفسه [3] .

فالواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفنون محن المسلمين ، قال المشايخ : الرضا باب الله الأعظم يعنون : أن من أكرم بالرضا فقد لُقيَ بالترحيب الأوفى وأُكرِمَ بالتقريب الأعلى [4] .

وأوضح رسول الله ﷺ أن الرضا سبب عظيم من أسباب سعادة المؤمن الدنيويّة والأخرويّة ، كما أن السخط سبب الشقاء في الدنيا والآخرة ، فقال ﷺ : ((**من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى بما قضى الله له**)) [5] ، فالله لا يرضى عن عبده إلا إذا رضي العبد عن ربه في جميع أحكامه وأفعاله وعندها يكون الرضا متبادلاً كما أشار إلى ذلك الحق ﷻ بقوله : ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (المائدة: من الآية119) [6] ، فغفلة القلب عن الرضا تجر به إلى ويلات فأول هذه الويلات (الخروج من العبوديّة لله) كما جاء في الحديث القدسي : ((**من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس رباً سواي**)) [7] [8] ، أما الويل الثاني : فهو منازعة القدر وموافقة الهوى ، تلك المنازعة التي تطول بها شقاوة العبد وتعبه ثم لا ينال بعدها إلا ما قُسم له ، فالراحة في الرضا والتعب والنصب في موافقة الهوى ، وما الرضا وموافقة القضاء إلا مخالفة الهوى [9] ، يقول الإمام الكيلاني (رحمه الله تعالى) : (فلا كان الهوى وإذا كان فلا كنا) [10] ، وويل آخر : لمن ترك الرضا ، فيتمثل في الحسد وتمنّي ما قُسم للغير [11] .

وبذلك فإن صاحب الرضا بمنأى عن هذه الويلات وله من بعد ذلك رقائق وعلامات ، فهو على الدوام قانع بما سبق له في القدر لا يتودد إلى الخلق ويتذلل لهم لاكتفائه بما قسمه الله له ولعلمه اليقيني بنفوذ أمر الله وهو يحسُّ بالبلاء فلا يعترض على الحكم بل يفرح بالمصيبة كما يفرح بالنعمة ، لأن الكل من عند الله اللطيف الخبير فإذا أقامه الله في حال لا يتمنى غيره ولا يلتفت لسواه فإن كان نعمة شكر وصبر وإن كانت بليّة صبر وشكر وقام مع الحالين على قدم الرضا لعلمه أن الرضا عن الله ترحاب بالقدر خيره وشره ، وثبات قلبي عند نزول سهام القدر هذه السهام التي تصيب خدشاً لا قتلاً ، وما كان في الله تلفه فإن على الله خلفه [12] .

---

(1) معراج التشوّف إلى حقائق التصوّف : لإبن عجيبة ، مطبعة الاعتدال ، 1355هـ: 8 .
(2) المهذب : 384/2 .
(3) ينظر : مدارج السالكين : 577/1 .
(4) ينظر : الرسالة القشيرية : 309 .
(5) مشكاة المصابيح : 1459/3 ، (5303) .
(6) ينظر : حقائق عن التصوّف : 301 .
(7) المعجم الكبير : لسليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني : ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء - الموصل ، ط/2 ، 1404هـ 1983م: 320/22 (807) ، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية : للمناوي : 68/1(155) .
(8) ينظر : الفتح الرباني : للشيخ عبد القادر الكيلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، الطبعة الأخيرة: 237.
(9) ينظر : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر : ليوسف محمد طه زيدان، دار الجيل - بيروت ، ط/1 ، 1411هـ 1991م: 93 .
(10) الغنية : 1358/3 .
(11) ينظر : الطريق الصوفي : 94 .
(12) ينظر : فتوح الغيب : للشيخ عبد القادر الكيلاني ، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ، ط/2 : 95. وبهجة الأسرار ومعدن الأنوار : للشطنوفي ، دار الكتب العربية - القاهرة ، 1330هـ: 88 .

فضل الرضا من القرآن

قال تعالى : ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (المائدة: من الآية119) . وقال ﷻ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ (النساء:65) ، وقال ﷻ : ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ** ﴾ (التوبة:21) ، وقال ﷻ : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ (الرحمن:60) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة: من الآية72) ، فقد رفع الله سبحانه الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ (العنكبوت:45) ، فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة المفروضة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان [1] .

أما فضله من السنة : عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ قال : ((**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً**)) [2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((**إذا أراد الله بعبد خيراً أرضاه بما قسم وبارك له فيه**)) [3]

علامات الرضا

للرضا علامات ثلاث جامعة ذكرها ذو النون المصري (رحمه الله تعالى)، وأوردها الإمام الكيلاني (رحمه الله تعالى) في الغنية ، وهذه العلامات : **ترك** الاختيار قبل القضاء ، **وفقدان** المرارة بعد القضاء ، **وهيجان** القلب في حشوا البلاء [4] . وقال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ : (الرضا ثلاثة أشياء : ترك الاختيار ، وسرور القلب بمر القضاء ، وإسقاط التدبير من النفس حتى يحكم الله لها أو عليها) [5] .

والسادة الصوفية أدركوا سر هذا التلازم والترابط بين الرضائين ، فقد كان سفيان الثوري يوماً عند رابعة العدوية ، فقال : اللهم ارض عني ، فقالت له : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راضٍ ؟ فقال : أستغفر الله [6] .

أقسام الرضا

لرضا قسمان : **قسم** لكل مكلف ، وهو ما لابد منه في الإيمان وحقيقته قبول ما يرد من قبل الله تعالى من غير اعتراض على حكمه وتقديره . **وقسم** لا يكون إلاّ لأهل المقامات ، وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي [7] .

.

مراتب الرضا :

مراتب الرضا ثلاثة :

الأولى : الرضا بالله تعالى رباً ، ولازم هذا الرضا السخط على عبادة ما سوى الله تعالى ويشترط فيه أن يكون أحب إليه مما سواه وأولى بالتعظيم والطاعة .

---

(1) ينظر : مكاشفة القلوب : 317 ، والمهذب : 385/2 .

(2) صحيح مسلم: كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن ، 62/1 (34) .

(3) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق : محمود عمر الدمياطي الدمياطي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 1419هـ 1998م: الإكمال من القناعة والاستغناء عن الناس سوء الظن: 160/3 (7117) .

(4) ينظر : الغنية لطالبي طريق الحق : 1360/3 .

(5) المقدمة في التصوّف وحقيقته : لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق : د. حسين أمين ، دار القادسية للطباعة ـ بغداد ، العراق ، 1388هـ 1969م: 37 .

(6) ينظر : حقائق عن التصوّف : 301 . والتعرف لمذهب أهل التصوّف : أبو بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق : محمود أمين أمين النواوي ، دار الاتحاد العربي للطباعة، بغداد ، 1388هـ 1969م: 122 .

(7) ينظر : أبهى القلائد في تلخيص الفوائد : لأحمد فائز محمود البرزنجي ، مطبعة ولاية الموصل، العراق ، 1315هـ: 1315هـ: 56 .

والثانية : الرضا عن الله بإسقاط الجزع حتى يكون القلب مستوياً لله ﷻ فيما يجري عليه من حكم الله فيما أحب أو أكره من الشدائد والراحات والمنع والعطاء .

والثالثة : الرضا برضا الله تعالى بالغيبة عن رضا نفسه عن ربه برؤية رضا الله تعالى ، فلا يرى لنفسه سخطاً ولا رضاء فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار فيما يرضي الله فهو موافق لإرادة مولاه لا إرادة له سواها فضلاً عن استواء الرخاء والشدة عنده والمنع والعطاء بل قد ينظر متحققاً إلى أن المنع هو عين العطاء [1] .

المطلب الخامس: الرجوع إلى الله تعالى

أولاً : التوبة

إن طريق الرجوع إلى الله ﷻ يبدأ بالتوبة من الذنوب والرجوع إلى ستّار العيوب وعلاّم الغيوب ، فهي مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين ومفتاح سعادة المريدين واستقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين وشرط في صحة السير إلى الله تعالى [2] .

(ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها ، فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به ، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته فبدايته الرجوع إلى الله بسلوك صراطه المستقيم الذي أمرهم بسلوكه بقوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (الأنعام:153) ، ونهايته الرجوع إليه في الميعاد وسلوك صراطه الذي نصبه موصلاً إلى جنته ، فمن رجع إلى الله في هذه الدار بالتوبة رجع إليه في المعاد بالثواب قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً** ﴾ (الفرقان:71) .

فالتوبة في **اللغة** : الرجوع ، تاب الله على عبده ، والعبد إلى ربه توباً وتوبة رجع عن المعصية وهو تائب وتواب ، وتاب الله عليه وفقه للتوبة ورجع عن المعصية إلى الطاعة [3]

وفي الاصطلاح : رجوع العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالّين [4] .

(وقيل : التوبة ، الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ، ثم القيام بحقوق الرب والتوبة النصوح : هي توثيق بالعزم على أن لا يعود لمثله . وقيل : التوبة ، الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى المحمودة) [5] .

وقيل : (التوبة : الرجوع عن المعصية إلى الله تعالى) [6] .

والتوبة تكون من فعل السيئات وترك الحسنات وليس فقط كما يظن كثير من الناس ويتصورون أن التوبة فقط من فعل العبد للقبائح كالفواحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها ، فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما أمرهم به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله وقد لا يعلمون أن ذلك مما أمروا به أو يعلمون الحق ولا يتبعونه فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع وإما مغضوب عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته [7] ، بل خواص الناس يتوب حتى من غفلته عن الله وكل ما يشغل عنه سبحانه ، قال ذو النون المصري (رحمه الله تعالى) لما سئل عن التوبة، فقال : (توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة) [8] .

والتوبة أمر شرّعه الله سبحانه في كتابه في آيات كثيرة وجعلها سبباً لفلاح العبد في دنياه وأخراه : ـ

---

(1) ينظر : اللمع: لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق : د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، مطبعة السعادة ، 1380هـ 1960م: 80-81 . ومدارج السالكين : 575/1 – 580 .
(2) ينظر : حقائق عن التصوّف : 231 . وتزكية النفوس : 131
(3) ينظر : لسان العرب : 233/1 . ومختار الصحاح : 33/1 . والقاموس المحيط : للفيروز أبادي ، المؤسسة العربية ـ بيروت . ودار الجيل ـ بيروت: 79/1 .
(4) ينظر : مدارج السالكين : 162/1 . وتزكية النفوس : 131 – 132 .
(5) التعريفات : 95/1 .
(6) كتاب الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق : عدنان درويش، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1419هـ 1998م: 308/1 . والرسالة القشيرية : 168 .
(7) ينظر : رسالة في التوبة : لأبن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم: 228/1 .
(8) الرسالة القشيرية : 173 .

قال تعالى : ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** ﴾ (هود: من الآية3) ، وقال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ (التحريم: من الآية8) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (النور: من الآية31) .

حكم التوبة ووقتها :

حكمها : هو الوجوب ، فهي واجبة على كل مسلم ومسلمة من كل ذنب ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ (التحريم: من الآية8) ، والأمر للوجوب ووجوبها ظاهر بالأخبار وهو واضح بنور البصيرة عند من شرح الله بنور الإيمان صدره وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلاّ في لقاء الله تعالى وعلم أن لا مبعد عن لقاء الله إلاّ اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني ، وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب ، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا دخل في وجوب الإيمان [1] .

أما وقتها : فهي في كل وقت، لأن التوبة سعي من مساعي القلب فهي كما قال بعض العلماء : تنزيه القلب عن الذنب ، فهي واجبة على الفور وعلى الدوام وفي كل حال فلا يستراب فيه إذ كون معرفة المعاصي مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور ، فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله ﷺ : ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**)) [2] ، فالتوبة واجبة على الفور بمجرد الهم بالذنب في القلب أو الغفلة عن الله فكل بشر لا يخلوا عن معصية بوسواس الشيطان أو هم بالذنب في القلب أو خاطر مذهل عن ذكر الله تعالى [3] ، والله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر كما قال ﷺ : ((**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)) [4] فباب التوبة مفتوح للتائبين الصادقين بتوبتهم وقبولها من الله مؤكد بقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (التوبة:104) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ (الشورى:25) ، وقال ﷻ : ﴿ **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ** ﴾ (غافر: من الآية3) ، بل هو سبحانه يفرح بتوبة العبد كما قال عليه الصلاة والسلام : ((**لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها**)) [5] .

شروط التوبة

للتوبة شروط لا بد من توفرها حتى تصح التوبة وهي كما ذكرها الإمام النووي (رحمه الله تعالى) إن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدها : ـ أن يقلع عن المعصية .

والثاني : ـ أن يندم على فعلها .

والثالث : ـ أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته ، وإن كانت تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها [6] . أما **الإقلاع** : فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب ، وأما **الندم** : فإنه لا تتحقق التوبة إلاّ به إذ من لم

(1) ينظر : منهاج العابدين : 25 ، ومكاشفة القلوب : 29 . ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : لمحيي الدين النووي ، تحقيق : عبد الله أحمد أبو زينة ، دار القلم ـ بيروت: 12 .
(2) صحيح البخاري : باب: النهي بغير إذن صاحبه: 875/2 (2343) ، وصحيح مسلم : باب : نقصان الإيمان بالمعاصي بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله: 76/1 (57) .
(3) ينظر : منهاج العابدين : 25 ، ومكاشفة القلوب : 29 . ورياض الصالحين : للنووي : 12 .
(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل : لأحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ـ مصر: 132/2 (6160) .
(5) صحيح مسلم : باب: في الحض على التوبة والفرح بها: 2102/4 (2675).
(6) ينظر : رياض الصالحين : 12 .

يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به وإصراره عليه ، قال ﷺ : ((**الندم توبة**)) [1] ، أما الشرط الثالث : وهو **العزم** على عدم العودة يعتمد أساساً على إخلاص هذا العزم والصدق فيه [2] .

وهذه الثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة ، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذ يرجع إلى العبوديّة التي خلق لها وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة [3] . وإذا توفرت هذه الشروط في التوبة فهي التوبة النصوح التي أرادها الله ﷻ بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ (التحريم: من الآية8) ، وهي أن يخلّصها من كل غسن ونقص وفساد ، قال الحسن البصري (رحمه الله تعالى) في التوبة النصوح : (هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على أن لا يعود فيه) [4] .

والتائب بعد أن يحقق هذه الشروط في توبته تظهر عليه علامات تدل على صحة توبته وقبولها وهي : -

أولاً : أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها .

ثانياً : أن لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين ، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه : ﴿ **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ (فصلت: من الآية30) .

ثالثاً : إنخلاع قلبه وتقطّعه ندماً وخوفاً ، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها [5] ، سئل بعض العلماء : هل يعرف العبد إذا تاب أن توبته قبلت أم ردّت ؟ فقال : لا حكم في ذلك ولكن لذلك علامات : أن يرى نفسه معصومة من المعصية ، ويرى الفرح عن قلبه غائباً والرب شاهداً ، ويقارب أهل الخير ويساعد أهل الفسق فيرى القليل من الدنيا كثيراً والكثير من عمل الآخرة قليلاً ، ويرى قلبه مشتغلاً بما فرض الله تعالى عليه ، ويكون حافظاً للسانه ، دائم الفكر ، ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه [6] .

فإن استقرت قدم العبد في منزلة التوبة نزل بعده منزل الإنابة ، وقد أمر الله تعالى بها في كتابه وأثنى على خليله بها فقال : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** ﴾ (هود:75) وقال ﷻ : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ** ﴾ (الزمر: من الآية54) ، وهي ثاني أقسام التوبة وهي صفة الأولياء والمقرّبين قال ﷻ : ﴿ **وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ** ﴾ (قّ: من الآية33) ، والتوبة صفة المؤمنين قال ﷻ : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (النور: من الآية31) ، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿ **نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ (صّ: من الآية30) ، قال أبو علي الدقاق (رحمه الله تعالى) : (التوبة على ثلاثة أقسام : أولها : التوبة ، وأوسطها : الإنابة ، وآخرها : الأوبة ، فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتهما فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للأمر لا للرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة)) [7] .

والإنابة إنابتان : **الأولى** : (**إنابة لربوبيّته سبحانه**) ، وهي إنابة المخلوقات كلها يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ** ﴾ (الروم:من الآية 33) ، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجامع الشرك والكفر كما قال تعالى في حق هؤلاء : ﴿ **ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم:من الآية 33 - 34) ، فهذا حالهم بعد إنابتهم .

والإنابة الثانية : (**إنابة أوليائه**) ، وهي إنابة لإلهيته إنابة عبوديّة ومحبة ، وهي تتضمن أربعة أمور : (محبته ، الخضوع له ، الإقبال عليه ، الإعراض عما سواه) فلا يستحق اسم (المنيب) إلاّ من اجتمعت فيه هذه الأربع ، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك وفي اللفظة معنى الإسراع ، والرجوع ، والتقدم ، والمنيب إلى الله : المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه [8] .

---

(1) صحيح ابن حبان : باب : التوبة: 377/2 (612) .
(2) ينظر : تزكية النفوس : 127 .
(3) ينظر : مدارج السالكين : 165/1 .
(4) ينظر : تزكية النفوس : 131 .
(5) ينظر : مدارج السالكين : 168/1 .
(6) ينظر : مكاشفة القلوب : 31 .
(7) الرسالة القشيرية : 171 - 173 .
(8) ينظر : مدارج السالكين : 354/1 - 355 .

فالإنابة (الرجوع إلى الحق ، وهي ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق إصلاحاً كما رجع إليه إعتذاراً ، والرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهداً ، والرجوع إليه حالاً كما رجع إليه إجابةً) [1] .

ثانياً : الاستغفار

الاستغفار لغةً : من غَفَرَ ، والغفر التغطية والستر ، غفر الله ذنوبه أي سترها واستغفر الله ذنبه طلب منه غفره ، وقد غفره يغفره غفراً : ستره فقد غفره [2] .

وفي الاصطلاح : (هو طلب المغفرة ، والمغفرة : هي وقاية شر الذنوب مع سترها) [3] . وقيل : استقلال الصالحات والإقبال عليها ، واستكبار الفاسدات والإعراض عنها . وقال أهل الكلام : الاستغفار ، طلب المغفرة بعد رؤية قبيح المعصية والإعراض عنها [4] .

ولأهمية الاستغفار ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها : ـ

قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران:135) ، وقال جل ذكره : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً** ﴾ (نوح:10) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ (النساء:110) ، وقال ﷻ : ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** ﴾ (النصر:3) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ (محمد: من الآية19) ، وقال جل ثناؤه : ﴿ **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ (الذريات:18) .

إذن الاستغفار وطلب المغفرة من الله يكون في كل الأحوال في الذنب وفي الطاعة ، في الليل والنهار كما كان عليه الصلاة والسلام بعد انتهائه من صلاته يبدأ بالاستغفار معلماً ذلك لأمته من بعده وذلك لسد الخلل الذي يحصل في الطاعة بالاستغفار ، ((فعن ثوبان ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً ، وقال : **اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام** . قيل للأوزاعي وهو أحد رواته : كيف الاستغفار ؟ قال : يقول : استغفر الله ، استغفر الله)) [5] .

وكذلك في الانتهاء من أي مجلس وقبل القيام منه علمنا عليه الصلاة والسلام دعاءً يكون كفارةً لذلك المجلس ، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**من جلس مجلس كثر فيه لغطه ، ثم قال قبل أن يقوم : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**)) [6] ، بل أمر عليه الصلاة والسلام بكثرة الاستغفار في كل يوم ، لأنه لا يخلوا أحد من ذنب ونبينا عليه الصلاة والسلام كان لا يفتر عن الاستغفار وقد غفر ذنبه ما تقدم وما تأخر فكيف بنا وكلنا ذنوب ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة**)) [7] ، وقال ﷺ : ((**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله واستغفره كل يوم مائة مرة**)) [8] .

وللاستغفار ثمرات يجنيها العبد في دنياه وأخراه ، نذكر منها ما يأتي من خلال عرض الآيات والأحاديث وأقوال السلف الصالحين :

---

(1) منازل السائرين : عبد الله الأنصاري الهروي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، 1408هـ 1988م: 8 .
(2) ينظر : مختار الصحاح : 199/1 . ولسان العرب : 26/5 - 27 .
(3) تزكية النفوس : 46 .
(4) ينظر : التعريفات : 36/1 .
(5) صحيح مسلم : باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته: 414/1 (591) .
(6) موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبان : لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية العلمية ـ بيروت: باب: كفارة المجلس: 588/1(2366) .
(7) صحيح البخاري : باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة: 2324/5(5948) .
(8) سنن النسائي الكبرى : للإمام أحمد بن شعيب النسائي : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 1411هـ 1991م ، تحقيق تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البندراني وسيد كسروي حسن: باب: كم يستغفر في اليوم ويتوب: 116/6 (10278) .

1- أن الله سبحانه يُمدد المستغفر بالأموال في الدنيا ويخرجه من الضيق ويذهب عنه الهم قال ﷺ : ((**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب**)) [1] ، فجعل استغفار الله شرطاً لحصول رزق الله [2] .

2- غفران الذنوب وتكفير السيئات ، قال تعالى : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً** ﴾ (نوح:10) ، وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((**من قال استغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً ، غفرت ذنوبه وإن كان فارّاً من الزحف**)) [3] .

3- الاستغفار دواء للقلوب من الذنوب وجلاء لها من صدئها ، قال قتادة (رحمه الله تعالى) (القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار) [4] وقال عليه الصلاة والسلام : ((**إن للقلوب صدأ ، قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : جلاؤها الاستغفار**)) [5] ، ويبيّن الشيخ سعيد حوّى في كتابه تربيتنا الروحية أنه لا بد من ملازمة الاستغفار أياماً تطول أو تقصر على حسب حاجة قلب العبد وربما يحتاج ذلك إلى الآلاف وعشرات الآلاف حتى يستقر معنى الاستغفار وحقيقته في القلب وحتى يصبح الاستغفار خلقاً للإنسان ليؤدي دوره الدائم في جلاء القلب [6] ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذي ذكره الله ﷻ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** (المطففين:14))) [7] .

4- النجاة من الهلاك والعذاب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ (لأنفال:33) ، قال الإمام علي ﷺ : (العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار ، وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذّبه) [8] .

5- الاستغفار سبب لنزول الأمطار وكثرة الأموال والأولاد ودخول الجنة وزيادة القوة ، قال تعالى : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ۞** ﴾ (نوح:10-11-12) ، وقال سبحانه : ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾ (هود:52) .

الخاتمة

اختتم بحثي هذا بذكر عدد من النتائج التي توصلت إليها :

1- إن ذكر الإمام النووي(رحمه الله تعالى) لأصول التصوّف في رسالته (المقاصد) يؤكد أنه قد سلك طريق التصوّف وذاق أحواله وعرف حقيقته فكان صوفياً ربانيّاً زاهداً ورعاً إماماً محدّثاً فقيهاً كما وصفه العلماء في عصره ومن بعده فكان رائداً من رواد القرن السابع الهجري سواء في نطاق الفكر والتربية أو في نطاق الحديث والفقه .

2- إن هذه الأصول التي ذكرها الإمام النووي(رحمه الله تعالى) للتصوّف هي من مقامات هذا الدين الحنيف ، ولا يسمّى السالك صوفيّاً إلاّ إذا حققها في نفسه فلا تصوّف إلاّ بتحقيق هذه الأصول .

---

(1) سنن أبي داوود : لسليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر: باب: في الإستغفار: 85/2(1518) .
(2) ينظر : نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف : للإمام جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الجيشي ، دار المنهاج ـ جدة ، ط/1 ، 1417هـ 1997م: 117/1 .
(3) سنن أبي داوود : باب: في الإستغفار: 85/2 (1517) . والمستدرك على الصحيحين : كتاب الجهاد: 128/2 (2550)
(4) المهذب : 265/1 .
(5) المعجم الأوسط : لأبي القاسم الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله / عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ـ القاهرة ، 1415هـ: 74/7(6894) .
(6) ينظر : تربيتنا الروحية : للشيخ سعيد حوى ، دار السلام ، القاهرة ـ مصر ، ط/9 ، 1428هـ 2007م: 93 .
(7) المستدرك على الصحيحين : كتاب الإيمان: 45/1 (6) . وسنن ابن ماجه : لمحمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ـ بيروت: باب: ذكر الذنوب: 1418/2(4244) .
(8) المهذب : 265/1 .

3- إن التصوّف هو العمل بمقامات الدين كلها ظاهراً وباطناً ، وليس كما يدّعي المتحاملين عليه بأنه يخالف الشرع وأنه عبارة عن ديانات غير إسلامية واعتقادات ضالّة بل هو على نهج الكتاب والسنة وبه تتحقق الولاية والربانية.

4- التصوّف هو الإحسان ، وهو أعلى أركان الدين الثلاثة التي سمّاها عليه الصلاة والسلام ديناً وهو : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

5- التصوّف هو التخلّق بأخلاق رسول الله ﷺ .

6- الزهد في الدنيا وإخراج حبها من القلب يعين على الإعراض عن الخلق .

7- رجوع العبد إلى الله تعالى يبدأ بالتوبة .

8- التقوى هي طوق النجاة من عذاب الله ﷻ وعقابه .

9- إن محبة الله تعالى للعبد متعلّقة ومشروطة بإتباع حبيبه محمد ﷺ ، فلا محبة كاملة بلا إتباع ولا إتباع كامل بلا إتباع .

10- لا يتحقّق إتباع العبد لرسول الله ﷺ ما لم يأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ (الحشر: من الآية7) ، وبذلك تتحقق التقوى والإتباع .

11- الابتعاد عن الإفراط والتفريط في أمور الشريعة وهذا من علامات إتباع السنة .

12- من أراد أن يشكر الله على نعمه وفضله فلا يستخدم تلك النعم في معصيته ، وأن يستخدمها في طاعة الله سبحانه والزيادة لمن استقام على الطاعة وهذا هو الشكر ، قال تعالى : ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ (إبراهيم: من الآية7) .

المصادر

* القرآن الكريم .
(1) أبهى القلائد في تلخيص الفوائد : أحمد فائز محمود البرزنجي ، مطبعة ولاية الموصل 1315هـ .
(2) الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية : زين الدين عبد الرؤوف المناوي ، مؤسسة الرسالة، لبنان .
(3) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة : اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعيد حمدان - الرياض ، 1402هـ .
(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر - بيروت ، 1415هـ 1995م . ومكتبة ابن تيمية - القاهرة ط/2 ، 1408هـ .
(5) الاعتصام : أبو إسحاق الشاطبي ، تحقيق : محمد حسين مخلوف ، دار الكتب العلمية - بيروت ط/10 ، 1988م .
(6) البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت774هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت .
(7) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار : الشطنوفي ، دار الكتب العربية - القاهرة ، 1330هـ .
(8) تاج العروس : الزبيدي ، مطبعة محمد شريف الخانجي - الإستانة .
(9) تاريخ الإسلام : شمس الدين الذهبي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف والشيخ شعيب الأرناؤوط ود. صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، ط/1 ، 1988م .
(10) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين الذهبي (ت748هـ) ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي - لبنان ، بيروت ، ط/1 ، 1407هـ 1987م .
(11) تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبي (748هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط/1 .
(12) تربيتنا الروحية : سعيد حوى ، دار السلام - القاهرة ط/9 ، 1428هـ 2007م .
(13) ترجمة النووي : محمد عبد الرحمن السخاوي ، مطبعة جمعية النشر والتأليف بالأزهر ، ط/1 ، 1354هـ .
(14) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف: رتبه وعلق عليه : الشيخ أحمد محمد كنعان ، دار القلم
(15) التعرّف لمذهب أهل التصوّف : أبو بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق : محمود أمين النواوي ، دار الإتحاد العربي للطباعة - بغداد ، 1388هـ 1969م .
(16) التعريفات : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، مطبعة محمد أسعد ، استانبول ، 1300هـ.
(17) تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، دار الفكر - بيروت ، ط/2 ، 1403هـ1983م .

(18) تفسير البيضاوي : عبد الله بن عمر البيضاوي ، مؤسسة شعبان ـ بيروت .
(19) تفسير النسفي: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس ، بيروت، 2005م.
(20) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ـ القاهرة .
(21) حقائق عن التصوّف : الشيخ عبد القادر عيسى ، دار العرفان ـ سورية ، حلب ، ط/19 ، 1431هـ.
(22) حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأفعال سلف الأمة : د. محمود أحمد سعيد الأطرش ، دار الإيمان ـ الأسكندرية ، 2002م .
(23) الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر بن محمد النعيمي (ت978هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 1410هـ.
(24) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ) ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ط/2 ، 1392هـ.
(25) ذيل مرآة الزمان : قطب الدين اليونيني ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ـ الهند ، ط/1 ، 1960م .
(26) الرسالة القشيرية : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، مطبعة منير ـ بغداد .
(27) رسالة المسترشدين : أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت ، ط/2 ، 1391ه.
(28) رسالة في التوبة : أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم .
(29) روح المعاني : محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط/4 ، 1985م .
(30) رياض الجنة بتخريج أصول السنة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي ، تحقيق : عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري ، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة ، السعودية ، ط/1 ، 1415هـ .
(31) رياض الصالحين : محيي الدين النووي ، تحقيق : عبد الله أحمد أبو زينة ، دار القلم ـ بيروت .
(32) الزهد : ابن أبي العاصم ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد دار الريان للتراث ـ القاهرة ط/2 ، 1408هـ
(33) سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ـ بيروت .
(34) سنن أبي داوود : أبو داوود السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
(35) سنن البيهقي الكبرى : أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ، 1414هـ 1994م .
(36) سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(37) سنن النسائي الكبرى : أبو عبد الرحمن النسائي (ت303ه) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/1 ، 1411هـ 1991م ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البندراني وسيد كسروي.
(38) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت 702هـ)، مؤسسة الريان، ط/6، 1424 هـ 2003م.
(39) صحيح ابن حبان : محمد بن حبان ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط/2 ، 1414هـ 1993م .
(40) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ـ اليمامة ، بيروت ط/3 ، 1407هـ 1987م .
(41) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
(42) طبقات الشافعية : أبو بكر بن أحمد بن قاض شهبة (ت851هـ) ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط/1 ، 1407هـ .
(43) طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين بن علي السبكي (ت771هـ) ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة ، ط/2 ، 1413هـ .
(44) طبقات الفقهاء : إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (ت476هـ) ، تحقيق : خليل الميس ، دار القلم ـ بيروت .
(45) الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر : يوسف محمد طه زيدان ، دار الجيل، بيروت ، ط/1 ، 1411هـ 1991م .
(46) العقيدة الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم، دمشق ، ط/3 ، 1403ه .
(47) الغنية لطالبي طريق الحق: الشيخ عبد القادر الكيلاني، تحقيق: د. فرج توفيق الوليد ، مطبعة منير ، 1988م .

(48) الفتح الرباني والفيض الرحماني : الشيخ عبد القادر الكيلاني ، مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة.
(49) فتوح الغيب : الشيخ عبد القادر الكيلاني ، مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ، ط/2 .
(50) فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت764هـ) ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله ـ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط/1 ، 2000م .
(51) القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، المؤسسة العربية ـ بيروت .
(52) كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، 1419هـ 1998م .
(53) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقي ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط/1 ، 1419هـ 1998م .
(54) لسان العرب : ابن منظور ، قدّم له : عبد الله العلايلي ، مطبعة تكنوبرس ـ بيروت ، 1389هـ 1970م
(55) اللمع في التصوّف : أبو نصر السراج الطوسي ، تحقيق : د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، مطبعة السعادة ، 1380هـ 1960م .
(56) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ، بيروت ، 1407هـ .
(57) مجموع الفتاوى : أحمد بن تيمية الحراني ، مطابع الرياض ، 1382هـ .
(58) المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 2000م .
(59) مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، طبعة جديدة ، 1415هـ 1995م .
(60) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ابن قيم الجوزية (ت751هـ) ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار، القاهرة ، ط/1 ، 1422هـ 2001م .
(61) المدخل إلى كتاب الإكليل : أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ـ الأسكندرية .
(62) المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط/1 ، 1411هـ 1990م .
(63) مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة ـ مصر .
(64) مسند الشهاب : أبو عبد الله القضاعي ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط/2 ، 1407هـ 1986م
(65) مشارق الأنوار على صحاح الآثار : القاضي عياض اليحصبي ، المكتبة العتيقة ، ودار التراث .
(66) مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ط/3 ، 1985م .
(67) مصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ـ الرياض ط/1 ، 1409هـ .
(68) المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ـ القاهرة 1415هـ .
(69) معجم البلدان : ياقوت الحموي (ت626هـ) ، دار الفكر ـ بيروت .
(70) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ـ الموصل ط/2 ، 1404هـ 1983م
(71) المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط/2.
(72) المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ـ دار الدعوة .
(73) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ـ بيروت ، ط/1 ، 1979م . والقاهرة 1969م .
(74) معراج التشوّف إلى حقائق التصوّف : ابن عجيبة الحسني ، مطبعة الاعتدال ، 1355هـ .
(75) مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوّف : الإمام يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) ، حققه وعلق عليه : برهان الدين محمد بدر الدين الشاعر ، دار الإمام الغزالي ـ دمشق ، سورية ، ط/4 ، 1428هـ 2007م .

(76) المقدمة في التصوّف وحقيقته : أبو عبد الرحمن السلمي (ت412ه) ، تحقيق : د. حسين أمين ، دار القادسية للطباعة ـ بغداد ، العراق ، 1388هـ 1969م .
(77) مكاشفة القلوب في معاملة حضرة علام الغيوب : أبو حامد الغزالي ، حقق أصوله وخرّج آياته وأحاديثه : الشيخ يوسف الحاج أحمد ، المطبعة العالمية ، ط/1 ، 1422هـ 2001م .
(78) منازل السائرين : عبد الله الأنصاري الهروي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، 1408هـ 1988م .
(79) منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين : أبو حامد الغزالي ، اعتنى به : محمد علي محمد بحري ، مكتبة ابن القيم ـ دمشق ، حلبوني ، ط/1 ، 1422هـ 2002م
(80) المهذب من إحياء علوم الدين : صالح أحمد الشامي ، دار القلم ـ دمشق ، ط/2 ، 1419هـ 1998م .
(81) موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبان : علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن ، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(82) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد علة ما قتلهم السخيف : الإمام جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الجيشي ، دار المنهاج ـ جدة ط/1 ، 1417هـ 1997م .
(83) النصرة النبوية : الشيخ مصطفى إسماعيل المدني ، على هامش شرح الرائية للفاسي ، مطبعة العامرية بمصر ـ 1316هـ .